



الإِنسان وكرامته في فكر الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

إسماعيل محمد جلال

محمد مولود متي

قسم الدراسات الإسلامية // كلية العلوم الإسلامية // جامعة السليمانية

المستخلص:

يتضمن هذا البحث نظرة سريعة عن رؤية الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي للإنسان من خلال فكره التربوي ، وبيان أن الإنسان يحتل مكانة مهمة في الكون، وأنه مكلف بوظيفة مهمة فيها ألا وهي وظيفة تطبيق العدالة الإلهية التي رسمها الله للإنسان .

وأن الإنسان في الشريعة الإسلامية مخلوق مكرم وخلق الله تعالى في أحسن تقويم، وتولاه بالإلهام والتعليم ، ورزقه بالعقل والقلب ، وأعدّه لشرف خلافته في الأرض . والكرامة الانسانية ليست مجرد حق نظري بل إن أثرها يمتد إلى ذات الانسان وعقيدته وحضارته، فهي تجعله سيداً في الكون ، عزيزاً لا يقبل الذل والإهانة ولا يقوم عليها، وتُعينه على بناء وتشبيد الحضارات . والإنسان في الشريعة الإسلامية له حقوق شتى منها حق الحرية السياسية وحرية الرأي والسلوك، وحق المساواة في الجانب الاقتصادي والسياسي .

واستطاع الشيخ البوطي رحمه الله تعالى أن يتصدى للأفكار التي تتبنى إشاعة (التعارض بين مبادئ الإسلام وحقوق الإنسان) من خلال فكره النيّر وعلمه الواسع . والبحث موزع على ثلاثة مباحث الأول منها عن نظرة الدكتور البوطي للإنسان كفرد ، والمبحث الثاني عن المساواة الإنسانية في الشريعة الإسلامية والمبحث الثالث عن وظيفة الإنسان في فكر الدكتور البوطي .

Article Info

Received: February ,2022

Accepted : April ,2022

Published :July ,2022

Keywords

الإِنسان ، الفكر ، محمد سعيد رمضان البوطي ، كرامة الإنسان .

Corresponding Author

Mohammedmawlod1979@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :
الانسان هذا المخلوق المكرم ، الذي خلقه الله في أحسن تقويم وتولاه بالإلهام والتعليم ، وحلاه بالعقل الكريم ، والقلب السليم ، وأعداه لشرف خلافته في الأرض .
ويُعد الانسان عنصراً أساسياً من عناصر تكوين الحضارة الانسانية ، وجزءاً أصيلاً من أركانها ، لا يقوم بنائها إلا على كاهله ، وهذا يتطلب أن يعي الانسان ذاته ، ويُدرك غايته التي خلق من أجلها ، أما إذا جهل ذاته ، وفقد هويته ، وغفل عن مهمته الحضارية ، كان مآله إلى التيه والضيع والتخبط الذي ينتهي إلى أن ينقسم أفراد هذا المجتمع إلى قلة عاتية باغية ، وكثرة مستضعفة تخضع شاءت أم أبت . لسלטان تلك القوة العاتية .

ويقول الدكتور البوطي رحمه الله (ثم أن المهم أن نعلم أن جذور الحضارة الانسانية المثلى ، هي دائماً وفي الوقت ذاته ، جذور التربية الانسانية المثلى ، إذ الحضارة الانسانية ليست أكثر من ثمار لجهود التعاون الانساني ، في نطاق الاستفادة من دخر الارض وخيرها ، وإنما تتمثل أصول هذا الجهد في منهج تربوي متكامل ، يؤخذ به الانسان بوصفه فرداً مستقلاً ، وعضواً في جماعة)^(١) .

وإذا كان القرآن قد وضع بين أيدينا منهجاً متكاملًا لإنشاء هذه الحضارة المثلى فمعنى ذلك أنه قد وضع بين أيدينا منهجاً متكاملًا في الوقت ذاته لأصول التربية الانسانية ، وبتعبير أكثر حداثة : إنه قد وضع بين أيدينا نظرية متكاملة للتربية الانسانية المثلى . الأمر الذي يقتضي أن نبين تصور الدكتور البوطي لمنزلة الفرد ورسالته الحضارية باعتباره فرداً له قوة مؤثرة في المجتمع:
أسباب الاختيار : من اهم الاسباب التي دفعتني الى اختيار هذا الموضوع ما يلي :

١ - مكانة الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى العالية ، ومنزلته الرفيعة بين العلماء ، ورغبتي في بيان آراءه التربوية .
٢ - بيان ان الاسلام هو أول من قرر مبدأ سيادة الانسان ، ودعا إلى تكريمه أيّاً كان عرقه وجنسه .

٣ - كثرة الكلام حول ان الاسلام يسلب الحقوق والحريات ، مع العلم أن الاسلام على النقيض من ذلك تماماً .

٤- الشيخ الدكتور البوطي رحمه الله من العلماء المعاصرين البارزين الذي استطاع أن يجمع بين أصالة الاسلام ومعاصرة الواقع وطرح أفكاره بأسلوب نقلي وعقلي وواقعي ولا سيما فيما يتعلق بالإنسان وحقوقه .

اشكالية البحث : ويمكن بلورة اشكالية البحث في التساؤل التالي : ما النظرة التربوية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي للإنسان كفرد

وكعضو في المجتمع ؟ وما صدى أفكار البوطي وآرائه التربوية في التربية المعاصرة ؟

أهداف البحث : يهدف البحث إلى ما يلي :

• إظهار أن الانسان في الشريعة الإسلامية مخلوق مكرم .

• بيان رأي الدكتور البوطي في حقوق الإنسان والتي منها الحقوق السياسية والاقتصادية وحق المساواة ، وحرية الرأي والسلوك .

• إظهار فكر الدكتور البوطي في وظيفة الإنسان بالإضافة إلى وظيفته العظمى المتمثلة بتطبيق العدالة الإلهية في الأرض .

منهج البحث : اتبع الباحث في بحثه المنهج التحليلي لأراء الدكتور البوطي فيما يتعلق بالإنسان وبيان حقوقه ووظيفته .

خطة البحث : يشتمل البحث على ثلاثة مباحث مع مقدمة وخاتمة :

المقدمة

المبحث التمهيدي : التعريف بالدكتور البوطي

المبحث الأول : نظرة الدكتور البوطي للانسان كفرد .

المبحث الثاني : المساواة الانسانية في الشريعة الاسلامية .

المبحث الثالث : وظيفة الانسان في فكر الدكتور البوطي .

الخاتمة

ملخص البحث

المبحث التمهيدي : التعريف بالدكتور البوطي

حياة العالم مليئة بالأسرار، ووصول الدكتور البوطي إلى مكانة علمية معروفة بين سائر الأوساط العلمية لا يأتي من فراغ ، بل كان لأسرته أثر في ذلك ، فقد استطاع هذا العالم الرباني أن يتصدى للأفكار المنحرفة ، فهو من العلماء البارزين الذين وقفوا أمام التيارات الفكرية المنحرفة والالحاد ورد شبهاتهم في القرن العشرين ، وفي الصفحات التالية سأعرض لبعض جوانب من نشأته ، وما ترتب عليها من إفرازات علمية متنوعة، وذلك ما سأوضحه في المطالب التالية :

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده

وُلِدَ الدكتور محمد سعيد بن رمضان بن عمر بن مراد البوطي سنة (١٩٢٩م-١٣٤٧هـ)، في قرية تقع على ضفاف نهر دجلة عند نقطة التلاقي بين الحدود السورية والعراق وتركيا، تُدعى (جيلكا) تابعة لجزيرة (بوطان)^(٢) "التي يُطلق عليها بالعربية اسم جزيرة (ابن عمر)^(٣)، وهي داخلية في حدود تركيا على مرمى النظر من بلدة (عين ديوار) السُورية

وكلُّ ما يُعلمه الدكتور البوطي عن نسبه انه من أصلٍ كُوردي، فوالده من أبويين كورديين^٤ .

المطلب الثاني : شيوخه الذين اخذ منهم العلم: تلقى الدكتور البوطي العلم من مناهل متعددة اثرت فيه تأثيراً عظيماً، حيث برع في علوم العقل والنقل على السواء، لكن هناك ثلاثة مناهل كان لها الأثر البارز في حياة الدكتور البوطي العلمية ؛ وهي: والده "مُلا رمضان" ومعهد

والتنوير حيث قال : أن المراد ببني آدم جميع النوع ، فالأوصاف المثبتة هنا إنما هي أحكام للنوع الانساني من حيث هو شأن الأحكام التي تستند إلى الجماعات^(١١) .

يقرر بذلك ان الاسلام هو أول من قرر مبدأ سيادة الانسان ، ودعا إلى تكريمه أيأ كان عرقه أو جنسه ، غير أن هذه السيادة يختلف مفهومها في الاسلام عنه في الغرب ، فالإسلام هو المسؤول الأول (بحسب ما قررتة الشريعة الاسلامية) عن رعاية سيادة الانسان ضد سائر الأوقات التي قد تترتب بها ، ومن ثم فإن السلطة التشريعية في حياة الانسان إنما هي لله وحده ، في حين أن النظم الديمقراطية ترى على اختلافها أن الانسان هو المسؤول الأول عن سيادة ذاته ، وأنه هو الذي يتحمل أعباء الحماية التامة لحقوقها ضد كل ما قد يترتب بها من أخطار ومن ثم فإن سلطة التشريع فيما تراه هذه النظم إنما هي للإنسان ، أي أن التشريع في الفكر الاسلامي بيد الله عز وجل ، بينما المشرع في الرؤية الديمقراطية هو الانسان نفسه .

فبرغم أن الانسان يتواء من حيث الخصائص والمزايا التي ينفرد بها عن المكونات الاخرى ، مركز السيادة والصدارة في هذا العالم ، فهو الذي أوتي مقاليد التحكم بكثير من الأجهزة الكونية المبتوثة من حوله ، بل إنه يتمتع بصفات فريدة ترشحه للسيادة المطلقة فوق هذه الأرض^(١٢) .

وتعلقت إرادة الله عز وجل بإيجاد هذا الكون بما فيه من مختلف أنواع الموجودات والحيوانات اقتضت حكمته الباهرة أن يختار الانسان من بين هذه الكائنات جميعها فيجعله سيد الكون ، وأن يجعل سائر مظاهره وموجوداته قائمة بخدمته ، وان يكل إليه عمارته وأمر تنظيمه ، وذلك هو المعنى بالخلافة ، في قوله تعالى ﴿وَأُذِّقُوا رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة : ٣٠) . فقال الدكتور البوطي في معرض تفسيره لهذه الآية : إن الله يذكرنا بنعمه الكثيرة التي أسداها إلينا ، ويذكرنا بالمكانة الباسقة التي بوأنا إياها عندما سخر لنا العالم الذي حولنا سواء العالم العلوي أو العالم السفلي المتمثل بالأرض التي يحيينا جل جلاله عليها . ففي هذه الآية الله جل جلاله يُبرر لنا مظاهر إكرام الله للإنسان ، وفيها تكريس لمعنى التكريم وتفصيل لمظاهر هذا التكريم ، من بيان مظاهر تكريمي لكم أن جعلتكم خليفتي في الأرض ، والخلافة بمعنى : تكليفكم بالعدالة الدقيقة فوق هذا الكوكب الأرضي لكن ليس بشكل آلي كما في حال الحيوانات العجماوات بل بشكل طوعي واختياري ، فالباري عز وجل شاء أن يجعل من هذا الانسان الكائن الذي يكون أميناً على رسالة الله وعلى سنن الله وعلى قوانينه في عباده وأن يقول لهذا المخلوق هذه قوانيني التي تحقق العدالة ، بل تحقق صلة القرى بين أفراد الاسرة الانسانية ومطلوب منك أن تنوب عن الله عز وجل في إلزام إخوانك

التوجيه الإسلامي الذي كان يديره الشيخ "حسن حبنكة الميداني" ، حتى أنه أهدى إليهما (والده والشيخ حبنكة) رسالته للدكتوراه قائلاً: " إلى من ربّاني والداً، وعلمي استاذاً، وهذبني مرشداً، واخذ بيدي خلال ذلك إلى سبيل التوفيق في جميع الأعمال- والدي -، وإلى من منحي من علمه وفضله وتوجهه، وبصري بدروب الحياة، وأثار أمامي معالم الطريق، المرابي الكبير الشيخ حسن حبنكة الميداني، أستاذي، إليهما أقدم هذا الكتاب"^(١٥) .

والمهمل الثالث هو الأزهر الذي حصل منه الدكتور البوطي على إجازة كلية الشريعة عام ١٩٥٥ ، ونال في العام الذي يليه دبلوم التربية من كلية اللغة العربية بالجامعة نفسها، ثم حصل أخيراً منه على الدكتوراه في أصول الفقه عام ١٩٦٥ م^(١٦) .

المطلب الثالث : استشهاده

انتقل الدكتور البوطي- مع ما يربو على أربعين من طلبة العلم الشرعي- إلى جوار الحق سبحانه وتعالى، مساء يوم الخميس الموافق الحادي والعشرين من شهر آذار لعام (٢٠١٣م)، إثر تفجير انتحاري قامت به يد غادرة ، نالت من الدكتور البوطي ، عندما يُلقى درسه في تفسير القرآن الكريم في مسجد (الإيمان) بدمشق . وتبادل كل من النظام وقوى الثورة المعارضة الاتهامات عن مقتل الشيخ البوطي ، فالنظام يؤكد أنه قتل بسبب التفجير الانتحاري ، وهناك من قال أنه اغتيل بالرصاص^(١٧) .

المبحث الأول

نظرة الدكتور البوطي للإنسان كفرد

للفرد في الاسلام مكانة عظيمة فما المجتمع الانساني إلا مجموعة من افراد ولبيان قيمة الفرد لكونه إنساناً بغض النظر عن انتماءاته ولونه ولغته وعرقه لا بد أن نركز على بعض الجوانب التي تبين قيمة الفرد منها:

المطلب الأول : الانسان كائن مكرم

الانسان فيما يقرره الاسلام أكرم مخلوق على الله ، ومصدر تكريم الله له أنه أقامه في هذه الدنيا على وظيفة تتمثل في إقامة شرعه الذي وضعه بين يديه ، وتطبيق عدالته التي أنزل عليه ميزانها ، وفي إقامة المجتمع الانساني على نهج تتحقق فيه عبودية الانسان لله^(١٨) .

وقد قال الله في محكم التنزيل لبيان سيادة الانسان على سائر المخلوقات ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (سورة الاسراء : ٧٠) . وفي تفسير هذه الآية يقول الدكتور البوطي : - من الواضح أن التعبير بكلمة (بني آدم) إنما يدل على التعميم الذي يخترق كل الفوارق الطبقيّة ، وفوارق الألوان والأعراق وحتى الديانات ، ذلك لأن الآية تعلن بان مَنْحَ الله الانسان هذا التكريم كان أسبق من حظوظه اللونية والعرقية ومن اختياراته الدينية^(١٩) . وقد سبق الدكتور البوطي إلى هذا القول الشيخ ابن عاشور في تفسيره التحرير

٨ - أن جعله خليفته في أرضه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة: ٣٠).

ووضع بين يديه ميزان العدالة الذي يمكن على أساسه أن يقيم مجتمع رخي سعيد: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (سورة الرحمن: ٩-٧). وقد جعلنا الله عز وجل مُخَيَّرِينَ في تطبيق هذا الميزان، والميزان هو شرائع الله المختلفة من عبادات ومعاملات. فمن امتثل لأمر الله في تطبيق هذا الميزان وعده الله الجنة. ومن تمرّد ولم يمتثل تَوَعَّدَهُ اللهُ بالنار مصداقاً لقوله ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة البقرة: ٣٨-٣٩).^(١٧)

المطلب الثاني: حقوق حرية الانسان:

وإنما أثرتنا التعبير بالحقوق بدلاً من الحق، لأن الحرية جذع تنفرع عنه حقوق شتى، كحق اختيار الملة والمذهب، وكحق اختيار النهج السياسي وإيجاد الانظمة الكفيلة بدعمه وتفوقه.

فالحرية في معناها الواضح البسيط الذي يفهمه كل عاقل هي كما يقول الدكتور البوطي: هي أن يطمئن الانسان إلى أن لا سلطان لغير من هو عبداً ومملوكاً له، عليه.

وهذا يعني أن المدخل الذي لا بديل عنه إلى حصن الحرية الحقيقية، أن يبدأ الانسان فيتعرف على هويته، ولسوف يعلم إن هو بحث بجدي وصدق، أنه مملوك للإله الذي خلقه، هذه العقيدة تعلمه أن لا أحد يستطيع انتقاص شيء من آفاق حريته فالفاعليات كلها في يقينه العقلي في ذات واحدة وهو الله عز وجل، وكل ما عداه ومن عداه مملوك له مسرّ تحت سلطانه وداخل قبضته^(١٨).

فما هو موقف الشريعة الاسلامية مما يسمى بحق الحرية الذي تندرج فيه هذه الفروع وأمثالها؟ في معرض إجابة الدكتور البوطي عن هذا السؤال قال: يجب لكي تصفى الإجابة عن شوائب اللبس أن نبدأ فنفرق بين أمرين اثنين:

أولهما: علاقة الانسان بالله من حيث إنه - أي الانسان - عبداً مملوكاً لله عز وجل، مكلف بالهوض بأحكام وواجبات محددة، لا مناص له من التحرر منها.

ثانيهما: علاقة الانسان بالإنسان في هذه الحياة الدنيا، من حيث النهج الذي رسمه الشارع جلّ جلاله لهذه العلاقة، وحدود السلطة التي مَتَّعَ اللهُ بها الجماعة الانسانية الحاكمة في رعاية الامور وتنفيذ أحكام الله^(١٩).

أما واقع الانسان من خلال الأمر الأول فهو أبعد ما يكون عن الحرية بكل معانيها وفروعها، وكيف يكون الإنسان حراً في علاقته مع الله سبحانه وهو عبده الخاضع لحكمه المملوك لذاته؟ إنه مكلف أولاً بأن يعرف حقيقة هذه العلاقة بربه، وهو مكلف ثانياً بأن يلتزم النهج

بهذه القوانين^(١٣). ويقول الدكتور البوطي: المهمة الأساسية التي كلف الانسان بها في حياته الدنيوية هذه أن ينهض بها ألا وهي تحقيق جامعة إنسانية فعالة، في سبيل النهوض بعمارة هذا الكوكب الأرضي عمارة كلية شاملة لكل ما تتسع له الكلمة " العمارة " من المعاني المادية والعلمية والاقتصادية، ومن هنا شرف الله الانسان الذي قبل النهوض بهذه المهمة على الوجه الذي رسمه الله تعالى له بلقب " الخليفة " وأعطاه صفة الإمامة وخلع عليه خلعة التكريم^(١٤). على أنه ينبغي أن لا ينسوا أنهم عبيدٌ لله عز وجل بالجبر والفتنة والطبيعة، فالشأن المنسجم مع هذه الحقيقة أن نكون عبيداً لله بالسلوك والقصد والاختيار.

فالإنسان كما يقول البوطي: عبداً مملوكاً لا محالة، وعبودية الانسان هي بذاتها عنوان ربوبية الله عز وجل، وإنما ينبثق الدين أو الدينونة من علاقة ما بين هذين الطرفين، وما الاسلام في حقيقته ومضمونه إلا جملة التعليمات التي خاطب الله بها عباده إخباراً وتكليفاً ليتحققوا من خلال تنفيذها بواقع عبوديتهم لله عز وجل فهو منهج دينونة العبد المخلوق للإله الخالق عز وجل^(١٥).

ومفاد ذلك أن الكرامة التي منحها الله للإنسان ليست مجرد حق نظري بل إن أثرها يمتد الى ذات الانسان وعقيدته وحضارته، فهي تجعله سيداً في الكون وعزيراً لا يقبل الذل والاهانة، ولا يقوم عليها، وتعينه على بناء وتشيد الحضارات^(١٦).

ويقول الدكتور البوطي رحمه الله تعالى: من مظاهر تكريم الله عز وجل للإنسان، وبالتالي من مظاهر حب الله للإنسان:

١- أن فطره بيده: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ﴾ (سورة ص: ٧٥).

٢- أن نفخ فيه من روحه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (سورة الحجر: ٢٩).

٣- أن أودع فيه فطرة ايمانية تحنُّ إلى بارئها وخالقها: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الروم: ٣٠).

٤- أن أسجد له الملائكة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة: ٣٤).

٥- أن سخر له الكون من حوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (سورة لقمان: ٢٠).

٦- أن أنزل عليه كتابه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (سورة المائدة: ١٥).

٧- أن خلقه في أحسن التقويم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين: ٤).

بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ (سورة آل عمران : ٦٤). كما يدل عليه تعايش المسلمين مع اليهود في المدينة المنورة في ظل أول دولة اسلامية يرأسها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢٥).

وقد نص أحد بنود الدستور الذي أملاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واعتمده ، بعد استقراره في المدينة على وضع هذا التعايش موضع التنفيذ ، وهو قوله (يهود بني عوف أمة مع المسلمين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم)^(٢٦). ويدل عليه أيضاً دخول بني خزاعة ، وهم مشركون في حلف مع المسلمين يوم صلح الحديبية ، ودفاع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنهم على الرغم من شركهم يوم اعتدى عليهم بعض زعماء قريش وبيوتهم بغارة^(٢٧).

وتدل أيضاً وصية أبي بكر رضي الله عنه لسرايا المسلمين إلى المهام التي كلفوا بها (ألا لا يفتنن يهودي عن يهوديته، ولا نصراني عن نصرانيته)^(٢٨). كما يدل عليه أيضاً أن البلاد الكثيرة التي فتحت في عصر الخلافة الراشدة ، ودانت للإسلام وحكمه ، وتُرك أصحاب الديانات الأخرى فيها على حالهم ، ولم يكرههم أحدٌ على التخلي عن معتقده ودينه^(٢٩). وهذا هو المعنى الشمولي لأثر الحرية الإنسانية عندما تسود^(٣٠).

المطلب الثالث : أنواع الحريات :

أولاً : الحرية السياسية : تقضي الشريعة الإسلامية بأن تكون البيعة طوعية من قبل سائر من تتعلق بأعناقهم البيعة ، أو من قبل من يمثلونهم من (أهل الحل والعقد) ، وهي الدعامة المؤسسة لشرعية حكم الحاكم وسلطانه ، فإن اقتحم الحاكم سدة الحكم عن طريق الاستيلاء والغلبة، عصى الله فيما أقدم عليه من هتكه لقدسية الحريات^(٣١).

ونلاحظ أن الترجمة الفورية لكلمة (الديمقراطية) في هذا العصر : أن يكون الناس كلهم أحراراً في ممارسة ما يريدون لهم من الأنظمة السياسية ، والأحزاب الفكرية والاعتقادية ، وان يتخذوا جميعاً سبلهم المفتحة الى كراسي الحكم ومقاليده .

فما هو موقف الإسلام من ذلك ؟

يقول الدكتور البوطي : يجب التفريق ، في هذا بين حالتين اثنتين ؟ الحالة الأولى : أن يكون المجتمع بعيداً عن نظام الإسلام وحكمه ، والمسلمون يسعون بما يمكنهم إلى إخضاعه لنظام الإسلام وضوابطه . الحالة الثانية : أن يكون المجتمع منضبطاً بالفعل بمبادئ الإسلام ونظامه ، بحيث يسمى بحق مجتمعاً اسلامياً .

أما الحالة الأولى : فإن البحث في هذه المسألة (مسألة حرية المنظمات والأحزاب) سابق لأوانه ، ذلك لأن السلطة التي إليها مردّ القرار في ذلك مفقودة . فهو كالبحث في إقامة الحدود وحكمها ، قبل وجود الدولة المقتنعة والملتزمة بإقامة هذه الحدود .

الذي شرعه الله له ولا يحيد عنه جهد استطاعته . وقد وعده الله بالمثوبة إن أطاعه وتوعده بالعقوبة إن عصاه .

إذن فالإنسان في علاقته مع ربه لا يتمتع بأي حرية (بمعنى أمام أوامر الله الكونية) ، اللهم إلا في الأمور والتصرفات التي خيّر الله فيها^(٣٠).

أما واقع الانسان من خلال الأمر الثاني : أي من خلال علاقة الإنسان بالإنسان فهو يتصف بالحرية التامة ، لا يملك أن يضيق عليه منها أحد ، اللهم إلا في حدود ما تقتضيه المحافظة على حريات الآخرين ، فهو حر في اختيار الدين والمذهب، وفي التعبير عن رأيه وقناعته، وفي إيجاد الهيئات والجماعات ذات الأنشطة الاجتماعية والسياسية^(٣١). ولكن لا ننس أن من حيث الأمر الأول ، أي علاقته مع الله ، مكلف باعتناق الدين الحق ، ممنوع من الخوض في الباطل أياً كان ، تحت طائلة التهديد الرباني بمعاقبته يوم القيامة أن هو أعرض عما قد كُلف به ، وخاض فيما نُهي عنه ، وقد يخيل إلى بعضهم أن من المستحيل اجتماع التكليف المتوعد عليه بالعقاب مع حرية الفعل والتحرك وتمكين المكلف من اختيار ما يريد غير أن هذا كما يقول الدكتور البوطي رحمه الله خيال لا حقيقة له ، وبيان ذلك أن التكليف التي تقرب الانسان إلى الله عز وجل ، هي تلك التي يمارسها بملى اختياره وبرغبة ذاتية منه ، وهذا هو معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)^(٣٢).

وهو ما عبّر عنه صراحة قول الله عز وجل ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يُلَاقُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (سورة الكهف : ٢٩) ، وقوله جلّ جلاله ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ بِمُصَيِّرٍ﴾ (سورة الغاشية : ٢١ - ٢٢) .

ولعلك تعلم أن وظيفة الإنسان تجاه ربه في هذه الحياة الدنيا ، هي أن يمارس العبودية لله ، بالطوع والاختيار ، كما قد خلق عبداً له بالقسر والاضرار^(٣٣).

الأدلة على حرية الإنسان :

من أبرز الأدلة على حرية الإنسان قول الله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة : ٢٥٦) ، وقد قال الدكتور البوطي رحمه الله في تفسير هذه الآية : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ هذه جملة خبرية ، وليست إنشائية ، يعني إخباراً من الله عز وجل ، بأن الانسان لا يستطيع أن يكره أحداً على أن يدخل في قلبه الهداية^(٣٤). وانظر إلى هذا المعنى كم يتألق واضحاً في قول الله عز وجل ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا

بعضهم ، والمعنى المراد : إن الدين لا يتأتى بالإكراه وإنما يتحقق بعرض موجباته ودلائله والتأمل الجاد فيها^(٣٧) .

فإذا تحولنا من الإصغاء إلى هذا البيان القاطع في دلالاته على أن الإنسان حر في أن ينفذ التكليف الموجهة إليه أو أن لا ينفذها ، إلى التأمل في التجربة العملية التي سجلها تاريخ المجتمعات الإسلامية ، بدءاً من صدر الإسلام ، نجد مصداق هذا البيان على أتم وجه^(٣٧) .

ففي عصر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت الدعوة الإسلامية التي يقودها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قائمة على أساس الحوار المنبثق عن ضرورة الإصغاء إلى سائر الآراء الأخرى ، فيما أن ينتهي الحوار إلى هداية ووافق ، وإما يظل اصحاب المذاهب والآراء الأخرى متمسكين بقناعاتهم أو عصبياتهم فما يزيد المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن يختم الحوار بالاعتذار بأنه بلغ^(٣٨) .

ولقد ظهرت في أيام الخلافة الراشدة آراء شاذة ، فلم تقاوم من قبل الخلفاء إلا بالحوار والنقاش ، لعل من أبرزها وأخطرها آراء الخوارج ، ولقد كان موقف سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه منها موقف المجادل الذي يقارع الرأي الباطل بالرأي الصحيح مؤيداً بالأدلة والبراهين ، وموقفه يحفل بصور رائعة لهذه المساجلات والمناقشات ، ولم يكن قتاله لهم من بعد لأنهم لم ينصاعوا لرأيه ، ولكن لأنهم أصروا على أن يجمعوا على حربه^(٣٩) .

وفي القرن الثاني اتسعت الفتوحات الإسلامية ، وتسربت الفلسفة الإغريقية إلى بعض المجتمعات الإسلامية وانتشرت فيها ثقافات وأفكار مختلفة لديانات ومذاهب شتى ، فظهرت فرق إسلامية كالمعتزلة^(٤٠) والمرجئة^(٤١) والقدرية^(٤٢) والخوارج^(٤٣) وراح كل منها يجادل عن نفسه في كل مجال ، وبكل صراحة وقوة ، وكانت لهم حلقات في مسجد البصرة والكوفة وتتعالى أصوات الجدل والحوار بين الأطراف والفئات ، في حرية تامة وطمأنينة كاملة ، ولم يكن لأئمة المسلمين في ذلك إلا دور واحد هو تشجيع الحوار وإقامة المزيد من مجالس النقاش بين ذوي الأفكار والمذاهب المختلفة^(٤٤) .

المبحث الثاني

المساواة في الشريعة الإسلامية

من بديهيات بل من ضروريات المبادئ الإسلامية التي يأخذ بها الإسلام المجتمع الإسلامي بحزم ، مبدأ المساواة بين الناس جميعاً ، يحكم أنهم جميعاً متساوون في الإنسانية ، ينحدرون من سلالة واحدة ، فما ينبغي أن ينتقص من سلطان هذه المساواة فارق عرق أو لغة أو أي قيمة اجتماعية كغنى وفقير أو تمتع بسلطة ما^(٤٥) .

ومن أوضح النماذج التطبيقية وأشهرها في هذا الأمر قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأسماء بن زيد وقد أرسله بعض الصحابة ليتشفع في شأن امرأة شريفة في قومها سرقت فاستوجبت الحد : (أنشفع في حد من حدود الله ؟) ثم قام فخطب في الناس فقال : (إنما أهلك الذين

أما الحالة الثانية : أي عندما يكون المجتمع مجتمعاً إسلامياً بحق ، فإن واقع كون المجتمع إسلامياً يحل المشكلة . وقد سبق وإن قلنا : ان نظام المجتمع الإسلامي قائم في جملته على الإذعان لعبودية الانسان لله عز وجل ، والخضوع لسلطانه وأوامره ، إنه إذن لا بد أن يرفض أي فكر أو سلوك ما قد يتعارض مع هذه الحقيقة التي أذعن بها^(٣٢) .

ثانياً : حرية الرأي والسلوك : إن مما لا نعلم فيه خلافاً ، إن صفة التكليف وهي من أخص ما تميز به الإنسان عن سائر الحيوانات لا تتحقق إلا في مناخ الحرية ، فحيثما ملك الانسان حريته في النظر والفكر وحرية اتخاذ القرار تجاه الأفعال والتصرفات وتمكن من تنفيذ قراراته ، تعلق به التكليف الصادر إليه من قبل الله عز وجل .

ومقتضى هذا كما يقول الدكتور البوطي: (إن الانصياع لأمر الله لا يتحقق إلا من خلال إمكان توفر الرغبة الذاتية في الامتثال لأمره ، وهو لا يتأتى إلا ممن علم بالتكليف المتجه إليه أولاً ثم أحس من نفسه الحرية في اختيار أن يفعل أو أن لا يفعل ما طلب منه ثانياً ، وهذا معنى قولنا : إن التكليف الالهي لا تتأتى حقيقة الاستجابة له إلا في تربة حرية التصرف ، إذ يملكها الانسان ، أي إلا لدى شعوره بأنه متمكن حقاً من أن يفعل أو لا يفعل ما طلب منه)^(٣٣) .

وهذا يتبين الفرق بين أوامر الله التكوينية التي تصدر إلى مختلف مكوناته ، فتتخذ قسراً ودون المرور بأي حرية أو اختيار . وأوامره التكوينية التي توجه خطاباً إلى عباده بلغوا الرشد وتمتعوا بالقدرة وحرية اتخاذ القرار ، فيتوقف التنفيذ على توفر رغبة العبد المكلف في الطاعة والانقياد^(٣٤) .

والقران مليء بالآيات الصريحة في بيان أن الإنسان يملك في هذه الدنيا كامل حريته في أن ينصاع أولاً لأوامره عز وجل ، سواء منها ما يتعلق بالفكر والاعتقاد أو السلوك والتصرفات .

ومن ذلك قول الله عز وجل ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (الكهف : ٢٩) . فقال الدكتور البوطي رحمه الله في تفسيره : أنتم أيها الناس فقد أعلنت لكم عن الحق ، إن شئتم اتبعوه فالمسألة تعود لكم ، وإن شئتم لا تتبعوه ، ولكن في حالة عدم الاتباع فإن هناك ناراً تنتظركم^(٣٥) . وقوله ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة : ٢٥٦) فقد قال الدكتور البوطي : أي أن الدين الذي هو الخضوع المطلق لألوهية الله عز وجل وسلطانه لا يتأتى إلا باليقين والاعتقاد ، وكل منهما انفعال قسري لا يتحقق بالإكراه عليه ، وإنما سبيله الفكر والنظر فما دون غيرهما محط التكليف الإلهي للإنسان . ومن هنا تعلم أن جملة (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) في الآية القرآنية إخبارية على ظاهرها ، وليست إنشاء كما قد يتوهم

ومن نماذج الأحكام الاقتصادية التي روعيت فيها ضرورة مبدأ المساواة بميزان العدالة ، نظام توزيع الميراث ، فقد روعي في توزيعه أصل المساواة بين الوارثين ، ما دامت العدالة مساعدة على ذلك ، فإذا لوحظ أن هناك حالات تختلف فيها العدالة عن المساواة الحرفية ، فالأفضلية عندئذٍ لما تقتضيه العدالة ، ذلك لأن الرصيد النهائي للعدالة بالضرورة^(٥١) .

وأن المساواة الاقتصادية هذه ، هي الأخرى تخترق فوارق الدين ، وتعلو على سائر الاعتبارات الدينية والانتمائية ، فالمبادئ يسري لها سلطان عام في المجتمع ، باعتبار أن كل من فيه رعيا أو مواطنون لا باعتبار أنهم اصحاب هويات دينية معينة .

المطلب الثاني : المساواة في الجانب السياسي

ينبغي أن نلاحظ أولاً ما يقتضيه المنطق ، من أن هناك شروطاً لا بد من توفرها لمن يريد أو يراد له أن يتحمل شيئاً من مسؤولية العمل السياسي أياً كان مستواه ، وإنما نلاحظ المساواة وضرورتها بعد استكمال الجامع المشترك من تلك الشروط^(٥٢) .

ونلفت النظر إلى أن موقع هذه الشروط من النهوض بالمسؤوليات السياسية إنما هو موقع الضرورات التي لا بد منها لقيام جوهر البناء وأصله ، وليس موقع إزهاق لمبدأ المساواة أو مخالفة للمذهب الذي ينادي بها .

وعلى سبيل المثال (فإن اشتراط صفة الاسلام لمن يتبوأ منصب الخلافة أو الإمامة العظمى أو ما يسمى اليوم برئاسة الدولة ، إنما اقتضته ضرورة أن ما يسمى بالمجتمع الاسلامي لا تتحقق وجوده إلا بهذا الشرط ، فمن التناقض البين الحاد أن تؤكد إسلامية المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية وتؤكد في الوقت ذاته بأنه سيان أن يكون رئيس هذه الدولة مسلماً أو غير مسلم)^(٥٣) .

المبحث الثالث

وظيفة الانسان في فكر الدكتور البوطي

لقد خلق الله الانسان وقرن به مهمة كبرى لم يشرف الله بها أحداً من دونه ، ألا وهي أن يمارس العبودية لله عزوجل بسلوكه الاختياري ، كما قد طبع بحقيقة العبودية له ، في واقعه الاضطراري ، وبذلك يغدو الانسان من حيث وجوده الفردي والاجتماعي أبرز الآيات الكونية الناطقة بوجود الله عزوجل^(٥٤) .

ولن يستطيع الانسان أن يؤدي الواجبات والتكاليف التي كلفه بها الخالق سبحانه إلا من خلال نسيج تعاون تسري خيوطه بينه وبين بني جنسه ، وسبيل ذلك أن يقبل الانسان متعاوناً مع إخوانه إلى عمارة هذا الأرض بمعناها الحضاري الشامل . واتباعه في ذلك للنهج الذي شرعه الله تعالى يحقق أمرين اثنين :-

من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)^(٤٦) . فليس في الإسلام أحد فوق نظامه أو شريعته ، الكل سواسية ، فلا مجال للتفريق بين صاحب وجهة والمكانة في المجتمع وبين الضعيف الذليل ، ومن هنا أقسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أعز أهله عنده ، وهي ابنته فاطمة ، بأنها لو سرقت لقطع يدها - مبالغة في وجوب العدل والمساواة بين الناس ، سواء الغني منهم أم الفقير ، الشريف أم الوضيع ، في الأحكام والحدود ، وفيما هم مشتركون فيه^(٤٧) . ومثال ذلك ما هو معروف ومكرر من تناول ولد لعمر بن العاص على شاب من دهماء القوم في مصر ، بالضرب من دون حق ، فلما رفع المظلوم أمره إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لأبيه كلمته التي لم تنبثق إلا عن عدالة شرع الله والتي ذاعت ولا تزال في أرجاء العالم كله (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) ثم توجه إلى الشاكي وناولته عصاه قائلاً (هالك فاضرب ابن الأكرمين كما ضربك)^(٤٨) .

المطلب الأول : المساواة في الجانب الاقتصادي :

فالحديث عنه فرع عن الحديث في الجانب الشرعي أو القانوني ، وذلك لأن النظم الاقتصادية في الإسلام ثمرة مباشرة لتشريعته وأحكامه ، ولكننا نخص هذا الجانب بالملاحظة نظراً إلى أنه قد غدا ركناً مستقلاً من أركان المجتمعات الانسانية اليوم^(٤٩) .

ويجب أن ننبه أولاً إلى أن أي ازدهار اقتصادي يتحقق في مجتمع ما ، فإنما هو ثمرة مباشرة لجهود أفرادها ، لا فرق في ذلك بين المجتمعات التي تنسب إلى النظام الفردي والتي تنسب إلى النظام الجماعي . وبناءً على ذلك ، فإن الشريعة الإسلامية تجعل من تيسير السبل أمام حوافز الأفراد وجهودهم وأنشطتهم الفردية المتنوعة ، الركيزة الأساسية الكبرى لتحقيق مساواة اقتصادية عادلة^(٥٠) .

ونلاحظ في معرض حديث الدكتور البوطي رحمه الله عن الاقتصاد أنه يقرن بين المساواة والعدالة ، أي يقيد الأولى منهما بالثانية ولعله يجد حاجة إلى تقييد المساواة بالعدالة إلا في مجال الحديث عن الاقتصاد ، والسبب هو أن المساواة في حد ذاتها في التشريعات وأحكامها ، والسياسة ونظمها ، هي سر العدالة وجوهرها ، أما في الاقتصاد وسبل ازدهاره فالأمر يختلف ، ذلك لأن ازدهار الاقتصاد ليس في حقيقته إلا نسيجاً تتكون سداه ولحمته من جهود الأفراد وأنشطتهم وإبداعاتهم ، وقد كان الناس ولا يزالون متفاوتين في إمكاناتهم وأنشطتهم هذه ، فإن ذهبت توزع ثمرات جهودهم المتفاوتة عليهم جميعاً بالسواء ، فذلك هو الظلم ذاته ، وإن بدا في الظاهر أنها المساواة المطلوبة ، فمن هنا كان لا بد من تقييد المساواة بميزان العدالة في مجال النظام الاقتصادي خاصة .

والحياة وسائر المكونات ، فيتخذ لنفسه من ذلك السبيل شرعة ومنهاجاً . وتلك هي الضمانة الكبرى لسعادة الفرد ولنشأة المجتمع الانساني السليم^(١٣) .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه ومنته تكتمل الطاعات وبعد :

فلا بد قبل الفراغ من هذا البحث من الوقوف على أهم النتائج التي توصلت إليها والتي يمكن إجمالها في النقاط التالية :

١ _ أهم ما تحتاجه الأمة الاسلامية في هذا الزمان هو العودة إلى المعين الأول للتربية ألا وهو القرآن الكريم .

٢ _ مصدر كرامة الإنسان أن الله أقام الإنسانية في هذه الدنيا على وظيفة تتمثل في إقامة شرعه، وتطبيق عدالته التي أنزل عليه ميزانها، وفي إقامة المجتمع الانساني .

٣- الإنسان في فكر الدكتور البوطي له من الحقوق الكثير منها الحرية السياسية، وحرية الرأي والسلوك، وحق المساواة في الجانب الاقتصادي والسياسي . وحرية الفكر واختيار الدين، ويرى أن آية (لا إكراه في الدين) محكمة .

٤ _ الإسلام هو أول من قرر مبدأ سيادة الإنسان ، ودعا إلى تكريمه أيضاً كان عرقه وجنسه .

٥ _ الكرامة التي منحها الله للإنسان ليست مجرد حق نظري بل إن أثرها يمتد إلى ذات الانسان وعقيدته وحضارته ، فهي تجعله سيداً في الكون وعزيراً لا يقبل الذل والإهانة ، ولا يقوم عليها ، وتعينه على بناء وتشديد الحضارات .

٦ _ للإنسان في فكر الدكتور البوطي وظيفة ومهمة كبرى لم يشرف الله بها أحدٌ من دونه ألا وهي أن يمارس العبودية لله عز وجل بسلوكه الاختياري ، كما قد طبع بحقيقة العبودية له في واقعه الاضطراري .

٧ - استطاع الشيخ البوطي رحمه الله تعالى أن يتصدى للأفكار التي تتبنى إشاعة (التعارض بين مبادئ الاسلام وحقوق الانسان) من خلال فكره النير وعلمه الواسع .

الهوامش

(١) ينظر: منهج الحضارة الانسانية في القرآن ، د. البوطي ، دار الفكر ، دمشق ،

٢٠١١م ، ط١١ ، ص ١٤ .

(٢) نبذة مختصرة عن حياة العلامة الإمام الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي ، جمع وإعداد ، موقع نسيم الشام . وينظر: هذا والدي ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان ، ١٩٩٥ ، ص ١٣ .

(٣) جزيرة ابن عمر : مدينة صغيرة فوق الموصل (على غربي دجلة) فيها أشجار ومياه ، أول من عمرها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي . ينظر: معجم البلدان ، ياقوت الرومي الحموي ، دار الصادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٥م ، ط ٢ ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .

أحدهما : ممارسة العبودية لله بسلوكه الاختياري كما قد خلق عبداً له بواقعه الاضطراري فقال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات : ٥٦)^(٥٥) .

ثانيهما : أن الأرض تُعمرُ عندئذٍ عمراناً مادياً وحضارياً على وجه سليم ، يسعد الناس مجتمعاً وأفراداً ، ويمد فيما بينهم جسور الود ، وينشر فوقهم مظلة العدالة والأمن^(٥٦) .

وعلى هذا الأساس وانطلاقاً من هذا المحور أمره بعمارة الأرض فقال ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ ﴾ (سورة هود : ٦١)^(٥٧) .

ولما كان الدخول في هذا العمل الحضاري الكبير يتطلب تعاوناً وجهداً أخلاقياً كبيراً والتزاماً بنظام دقيق في إقامة أسباب العيش وحماية السلم والحياة ، شرع الله للإنسان الأحكام والنظم الكفيلة برعاية كل ذلك وحمايته لها ، وتلك هي أحكام الشريعة الاسلامية المتعلقة بالمعاملات وشؤون المجتمع على اختلافها^(٥٨) .

وقد قضى هذا الإله الفاطر الحكيم أن يحمل الانسان مهمة عمارة الأرض بمعناها الحضاري الشامل ، وسخر في سبيل النهوض بذلك معظم المكونات التي تزخر من حوله ، وجهزه برأس مال العمر الذي متعه به ، وألهمه أن يستعين ويستشير في الطريق إلى ذلك بميزان المعرفة التي اقدره عليها بعد أن رسم له في القرآن المبين الخريطة التي تضعه أمام شجرة الحقيقة الكونية الواحدة ، ذات أغصان المتنوعة الكثيرة^(٥٩) .

وهذا يعني أن المسلم مطالب ليؤدي رسالته الحضارية بعدة أمور^(٦٠) :

١ - معرفة الانسان لذاته أولاً .

٢ - بالمسخرات الكونية التي اخضعها الله لسلطانه ورغباته ثانياً .

٣ - وبالعمر الذي يتمتع به ثالثاً .

٤- العقل الانساني هو مرآة وجود الله ، ومن ثم فعلية أن يبقى على هذه المرآة صافية ليسرق عليها باستمرار هذا الوجود الرباني ، والانسان مهما كثرت وظائفه الجزئية فإن عليه أن يصحبها جميعاً في هذه المهمة الكلية الكبرى : أن يكون أجلّ مظهر كوني لوجود الله عز وجل .

٥- تتلخص الأوامر السلوكية الصادرة من الله تعالى للفرد في دعوته مع أقرانه لعمارة هذه الارض . بمعناها الحضاري والاجتماعي العام ، على أساس من العدل والحكمة والحب . وهذه المعاني الثلاثة من أبرز صفات الخالق عز وجل .

٦ - وبالمنهج الأمثل إلى المعرفة .

٧ - ودراسة واقع المجتمعات الأخرى ومعرفة أحوالهم وكيفية مخاطبتهم^(٦١) .

٨ - وتحكيم ميزان العدالة التي أقامه الله بين عباده^(٦٢) .

٩ - لا شك في أن الحكمة العليا من الدين الذي ألزم الله به المسلم كفرد ، هي أن يتبصر الانسان بأفضل السبل للتعامل مع الانسان

(٣٤) البدر الطالع في حل جمع الجوامع للسبكي ، جلال الدين أحمد المحلي ، مؤسسة الرسالة الناشر، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م ، ج ١ ، ص ٤٠ - ٤١ . وينظر: الله أم الانسان ايهما أقدر على رعاية حقوق الانسان ، د. البوطي ، ص ٥١ .

(٣٥) موقع نسيم الشام ، سلسلة تفسير القرآن الكريم ، الدروس العلمية ، الدرس : ٢٣ ، بتاريخ ١٩٨٤/٣/٢٣ ، تفسير سورة الكهف : آية ٢٩ ، (من ٢٥:١٦ إلى ٢٥:٣٨) .

(٣٦) حرية الانسان في ظل عبوديته لله ، د. البوطي ، ص ٤١ .

(٣٧) الله أم الانسان ايهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان ، د. البوطي ، ص ٣١ .

(٣٨) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

(٣٩) حرية الانسان في ظل عبوديته لله ، د. البوطي ، ص ٨١ .

(٤٠) المعتزلة : اسم يطلق على فرقة ظهرت في أوائل القرن الثاني وسلكت نهجاً عقلياً في بحث العقائد الإسلامية ، وهم أصحاب واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري؛ وينظر: الملل والنحل، محمد عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي للنشر، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ج ١ ، ص ٥٠ .

(٤١) المرجئة تطلق على فئتين :

- ١- قوم أرجأوا أمر علي وعثمان رضي الله عنهما .
- ٢- فأما المرجئة اليوم فهم يقولون الايمان قول ولا عمل . ينظر: تهذيب الآثار، أحمد بن أحمد الطبري ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ج ٢ ، ص ٦٥٩ .

(٤٢) الجبرية : فرقة اسلامية قالوا بالإجبار والاضطرار في الأعمال وانكروا الاستطاعات كلها وأن لا فعل ولا عمل لأحد غير الله ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز.

القدرية : فرقة على عكس من الجبرية تماماً هم يقولون أن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس ، وأن الناس هم الذين يقدرون على أكسابهم ، وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم ، لذا سماها المسلمون بالقدرية . ينظر : موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الاسلامية ، د. عبد المنعم الحفني ، دار الرشد ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٣ م ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٤٣) الخوارج : فرقة خرجت على أمير المؤمنين علي بن ابي طالب في صفين بعد قبول التحكيم . وقيل : كل من خرج على الأمام الحق الذي انفقت الجماعة عليه يسعى خارجياً ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين والأئمة في كل زمان ، وعلماء الشريعة يسمونهم بـ"بغاة" . ينظر : موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الاسلامية ، ص ٣٥٢ .

(٤٤) الله أم الانسان ايهما أقدر على رعاية حقوق الانسان ، د. البوطي ، ص ٥٤ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

(٤٦) صحيح البخاري: كتاب: أحاديث الأنبياء ، باب : حديث الغار ، حديث رقم ٤٣٧٥ ، ج ٤ ، ص ١٧٥ .

(٤٧) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ، أبو عبد الرحمن عبد الله بن صالح بن محمد بن حمد البسام ، تحقيق: محمد صبيح حلاق ، مكتبة الصحابة ، الإمارات ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م ، ص ٦٧١ .

(٤٨) أخرجا ابن عبد الحكم في " فتوح مصر وأخبارها " ص ٢٩٠ ، وأوردها محمد بن يوسف الكاندلهوي في " حياة الصحابة ج ٢ ، ص ٨٨ ، باب : عدل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال : وأخرج ابن عبد الحكم عن أنس - رضي الله عنه - ثم ذكر القصة . ثم قال : كذا في "منتخب كنز العمال" (٤٢٠ / ٤) . وبالرجوع إلى " كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال " للعلامة علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي وجد أن القصة تقع في " كنز العمال " (١٢ / ٦٦٠) ورقم (٣٦٠١٠) وعزاه لابن العبد الحكم أيضاً . ومن خلال تتبعي لطرق هذه الرواية تبين لي أن الرواية ضعيفة ، وفيها انقطاع من طريق ، وفيه مجاهيل من طريق آخر ، مع العلم أن الحديث مشهور جداً .

(٤٩) ينظر: هذا والدي ، ص ١٣ .

(٥٠) ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، د. البوطي ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٣ م ، ط ٢ ، ص ٣ .

(٦١) ينظر : الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي وأراؤه الاعتقادية ، سمير روبين الجعيري ، رسالة ماجستير ، جامعة الخليل ، ٢٠١٥ ، ص ٤٨ .

(٧١) الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي وأراؤه الاعتقادية ، ص ٤٥ .

(٨١) إحياء جوهر الاسلام في حياة المسلمين ، د. البوطي ، ص ٨٢ .

(٩١) ينظر: من هنا وهناك ، ص ٢٥٤ .

(١٠١) الله أم الانسان ايهما أقدر على رعاية حقوق الانسان ، د. البوطي ، دار الفكر، دمشق ، ٢٠٠٩ م ، ط ٥ ، ص ١١ .

(١١١) تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، دار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ ، ج ١٥ ، ص ١٦٤ .

(١٢١) مدخل الى فهم الجذور ، د. البوطي ، ص ٢٩ .

(١٣١) موقع نسيم الشام ، سلسلة تفسير القرآن الكريم ، الدروس العلمية ، الدرس : ١٥ ، بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/٢٢ ، تفسير سورة البقرة : آية ١٥ ، (من ٢٣:٣٠ إلى ٢٩:٥٣) .

(١٤١) منهج الحضارة الانسانية ، د. البوطي ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(١٥١) الظلاميون والنورانيون ، د. البوطي ، ص ٥٨ .

(١٦١) ينظر: من هنا وهناك ، د. البوطي ، ص ٢٢٢ ، بتصرف .

(١٧١) منهج التزكية ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(١٨١) شرح الحكم العطائية ، المجلد الثاني ، ص ٩٩ .

(١٩١) ينظر: حرية الانسان في ظل عبوديته لله ، د. البوطي ، ص ٢٩ - ٣٠ بتصرف .

(٢٠١) من هنا وهناك ، د. البوطي ، ص ٢٥٩ .

(٢١١) المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ .

(٢٢١) صحيح مسلم ، كتاب: البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم ، حديث رقم ٢٥٦٤ .

(٢٣١) ينظر: الإسلام ملاذ كل المجتمعات الانسانية ، د. البوطي ، ص ٢٠ . وينظر: شرح الحكم العطائية ، المجلد الثاني ، ص ٣٤٠ . وينظر: من سنن الله في عباده ، د. البوطي ، ص ١٧ .

(٢٤١) موقع نسيم الشام ، سلسلة تفسير القرآن الكريم ، الدروس العلمية ، الدرس : ١٣ ، بتاريخ ٢٠١٢/٣/٢٢ ، تفسير سورة البقرة : آية ٢٥٦ ، (من ٦:١٣ إلى ٦:٣٠) .

(٢٥١) حرية الانسان في ظل عبوديته لله ، د. البوطي ، ص ٨١ .

(٢٦١) وثيقة المدينة المضمون والدلالة ، أحمد قائد الشيعبي ، وزارة الأوقاف القطرية ، الدوحة ، ٢٠٠٥ م ، ط ١ ، ص ٤٥ . وينظر: إحياء جوهر الإسلام ، د. البوطي ، ص ٨٤ .

(٢٧١) ينظر: السيرة النبوية ، ابن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧١ م ، ج ٢ ، ص ٣٨٦ .

(٢٨١) موقع نسيم الشام ، مكتبة الموقع ، مقالة بعنوان : حقائق يجب أن يعلمها كل مسلم عن القدس ، للدكتور البوطي ، بتاريخ ٢٠١٦/٧/٢٠ .

(٢٩١) من هنا وهناك ، د. البوطي ، ص ٢٦١ . وينظر: حرية الإنسان في ظل عبوديته لله ، د. البوطي ، ص ٨١ .

(٣٠١) شرح الحكم العطائية ، المجلد الثاني ، ص ١٠٠ . وينظر: حرية الانسان في ظل عبوديته لله ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٣١١) الله أم الانسان ايهما أقدر على رعاية حقوق الانسان ، د. البوطي ، ص ٤٦ .

(٣٢١) حرية الانسان في ظل عبوديته لله ، د. البوطي ، ص ٩١ .

(٣٣١) الله أم الانسان ايهما أقدر على رعاية حقوق الانسان ، ص ٥٠ .

- ١٤- مدخل إلى فهم الجذور ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، بيروت .
 ١٥- المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الاسلامي ، د. البوطي ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٦ م .
 ١٦- معجم البلدان ، ياقوت الرومي الحموي ، دارالصادر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٥ .
 ١٧- مقاييس اللغة. أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩ م .
 ١٨- من سنن الله في عباده ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، ٢٠١١ م .
 ١٩- من هنا وهناك ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، دمشق ، سورية .
 ٢٠- منهج التزكية عند الامام الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي ، د. ليلى شوقي ، الصديق للعلوم ، دمشق ، ٢٠١٨ م .
 ٢١- وثيقة المدينة المضمون والدلالة ، أحمد قائد الشيعبي ، وزارة الأوقاف القطرية ، الدوحة ، ٢٠٠٥ م .

MOHAMMED MAWLOOD MATTI

University of Sulaymaniyah/ College of Islamic Sciences
 Section/ Islamic Studies

Mohammedmawlod1979@gmail.com

The human and his dignity in the thought of Dr. Muhammad Saeed Ramadan Al-Bouti

Abstract

This research includes a quick look at Dr. Muhammad Saeed Ramadan Al-Bouti's vision of man through his educational thought, and a statement that man occupies an important place in the universe, and that he is charged with an important job in it, which is the job of applying divine justice that God has drawn for man.

And that, according to Islamic law, man is an honorable creature, God Almighty created him in the best manner, took care of him with inspiration and education, provided him with intellect and heart, and prepared him for the honor of his succession on earth.

Human dignity is not just a theoretical right, but its impact extends to the human being, his belief and his civilization, as it makes him a master in the universe, a dear one who does not accept humiliation and insult and is not based on it, and it helps him to build and build civilizations. In Islamic law, man has various rights, including the right to political freedom, freedom of opinion and behavior, and the right to equality in the economic and political aspect.

The research is divided into three sections, the first of which is about Dr. Al-Bouti's view of man as an individual, the second topic is about human equality in Islamic law, and the third topic is about the human function in Dr. Al-Bouti's thought.

المخلص باللغة الكوردية

ئهم لیکۆئینهوهیه تێروانیی خێرای دکتور محمد سعید رمضان البوطی لهخۆدگریت بۆ مرۆف لهڕینگهی بیروبوچوونی پهروهردیهی، نهوهش روون دهکاتهوه که مرۆف پنگهیهکی گرنکی ههیه لهکههرووندا ،نهو کارهشی پێ سپێردراوه که گرنکه ، نهوهش کاری جێبهجێ کردنی دادگهری خودای که خودای گهوره بۆ مرۆف نهخاندنویهتی و مرۆف له ئایینی ئیسلامدا بوونهوهڕینگی بهپێژه وخودای گهوره درووستی کردوه لهجوانترین وباشترین شیوهدا وفیروونی و ئیلهامی پێداوه، ومبشک و دۆی پێ بهخشیوه و نهو شههرفههی پێداوه که جێ نشینی بیت لهزهمیندا ، و نهو رێژهی مرۆفایهتیش مافیکی تێروانیی نییه تهنها، بهلام هۆکارهکانی شوێر دهپێتهوه بۆ ناخی مرۆف و بیروپروا و کهلتوریشی دهگرتتهوه ،لهبههرهوهی دهیکاته گهورهیهک له

- (٤٩) الله أم الانسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الانسان ، د. البوطي ، ص ٢٨ .
 (٥٠) المصدر نفسه ، ص ٢٩ .
 (٥١) الله أم الانسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الانسان ، د. البوطي ، ص ٣٣ .
 (٥٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .
 (٥٣) الله أم الانسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الانسان ، د. البوطي ، ص ٣٦ .
 (٥٤) الاسلام ملاذ كل المجتمعات الانسانية ، د. البوطي ، ص ٥٣ .
 (٥٥) موقع نسيم الشام ، سلسلة تفسير القرآن الكريم ، الدروس العلمية ، الدرس : ٦٨ ، بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/١ . تفسير سورة الذاريات : آية ٥٦ ، (من ٨:٤٠ إلى ٩:٢٢) .
 (٥٦) شرح الحكم العطائية ، المجلد الأول ، ص ٧٩ - ٨٠ .
 (٥٧) ينظر: كبرى اليقينيات الكونية ، د. البوطي ، ص ٦٥ ، وينظر : منهج الحضارة الانسانية ، د. البوطي ، ص ٢٥ .
 (٥٨) الاسلام ملاذ كل المجتمعات الانسانية ، د. البوطي ، ص ٥٤ .
 (٥٩) من هنا وهناك ، د. البوطي ، ص ٢٣٤ .
 (٦٠) ينظر: مدخل إلى فهم الجذور ، د. البوطي ، ص ١٢٢ - ١٢٤ تحت عنوان ماذا يقول البيان الالهي؟
 (٦١) من هنا وهناك ، د. البوطي ، ص ٢٣٥ .
 (٦٢) إحياء جواهر الاسلام ، د. البوطي ، ص ٨٢ .
 (٦٣) ينظر: مدخل إلى فهم الجذور : د. البوطي ، ص ١٢٤ .

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

- ١- إحياء جواهر الاسلام في حياة المسلمين ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دمشق ، سورية ، ط٣ ، ٢٠١٨ م .
 ٢- الاسلام ملاذ كل المجتمعات الانسانية ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، دمشق ، ط١٠ ، ٢٠١٧ م .
 ٣- البدر الطالع في حل جمع الجوامع للسبكي ، جلال الدين أحمد المحلي ، مؤسسة الناشرين دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
 ٤- تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، دار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ م .
 ٥- الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن اسماعيل البخاري ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٧ م .
 ٦- الظلاميون والنورانيون ، د. البوطي ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠١٠ م .
 ٧- الله أم الانسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الانسان ؟ ، د. البوطي ، دار الفكر ، سورية ، ١٩٩٨ م .
 ٨- الحكم العطائية شرح وتحليل ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، دمشق ، ط٩ ، ٢٠١٩ م .
 ٩- الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي وأراؤه الاعتقادية ، سمير روبين الجعبري ، رسالة ماجستير ، جامعة الخليل ، ٢٠١٥ م .
 ١٠- صحيح مسلم ، مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
 ١١- ضوابط المصلحة في الشريعة الاسلامية ، د. البوطي ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٩٧٣ .
 ١٢- قضايا الساخنة ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠١٦ م .
 ١٣- كبرى اليقينيات الكونية ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، دمشق ، ط٨ ، ١٩٩٧ م .

گەردوندا، بەشئۆھەیکە کە قېوونئى سووکایەتی ناکات وریگەیشی پڻ نادات و یارمەتی دەدات بۆ بنیاتنان و دامەزراندنی کەلتورەکان مرۆڤ لە نایى ئىسلامدا كۆمەئىك مافى ھەپە ھەك مافى نازادى سیاسى و نازادى رادەربەرین و رەوشت ،ومافى یەكسانى لە بواری ئاوبوری و سیاسیدا.

ئەم لىكۆئىنەوھەپە دابەش بۆتە سەرسى سەرچاوه . یەكەم تېروانىنى دكتور البوطى بۇ مرۆڤ ھەكو تاك و دووھم لەسەر یەكسانى مرۆڤایەتی لە نایى ئىسلامدا و سئپەمیش لەسەر كاری مرۆڤ لەسەر بیرورای دكتور البوطى .